

## حول مقال خطان في الثورة

فلاديمير لينين

٢٠ نوفمبر ١٩١٥

ترجمة: سعيد العلمي

كتب لينين هذا المقال في جريدة سوتسيال ديموقراط العدد ٤٨ ، الصادر في ٢٠ نوفمبر ، ١٩١٥ . ويدور الجدل فيه بين بليخانوف ولينين حول طبيعة الثورة المقبلة وأي خط يتعين على الحزب الثوري انتهاجه فيها . ويستمد بليخانوف تصوراته من "المفاهيم الاستراتيجية" بينما يستمد لينين من واقع تحليل القوى الموجودة وطبيعة تحالفاتها وقد اقترب في هذا المقال من فكرة استمرارية الثورة وتواصلها ، وان انتقد تروتسكي لانكاره الطاقة الثورية للفلاحين وضرورة الارتفاع بهم للمهام الثورية .

---

يحاول السيد بليخانوف في جريدة بريزييف <sup>(١)</sup> ان يعرض المشكلة النظرية الاساسية للثورة الوشيكية في روسيا . وهو يقتبس مقطعا من ماركس مفاده ان ثورة ١٧٨٩ قد اتخذت مسارا صاعدا ، بينما اتبعت ثورة ١٨٤٨ مسارا هابطا . فقد انتقلت السلطة تدريجيا في الحالة الاولى من الحزب المعتدل الى الحزب الاشد راديكالية - الدستوريون ، والجيروند ، واليعاقبة . وحدث العكس في الحالة الثانية - البروليتاريا ، البورجوازيون الصغار الديموقراطيون ، الجمهوريون البورجوازيون ، نابليون الثالث . ويستنتج مؤلفنا "بأنه من المرغوب فيه ان توجه الثورة الروسية وفق خط صاعد" ، أي ان السلطة يجب ان تنتقل اولا الى الكاديت

والاكتوبريين ، ثم الى الترودوزيفيك ، ثم الى الاشتراكيين . والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا التعليل ، بالطبع ، هي ان الجناح اليساري في روسيا غير حكيم لأنه لا يرغب في تدعيم الكاديت ويضعف الثقة فيهم قبل الاوان .

ان تعليل السيد بليخانوف "النظري" هو مثال آخر على استبدال الماركسية بالليبرالية . ويختزل السيد بليخانوف الامر لمسألة ماذا كانت "المفاهيم الاستراتيجية" للعناصر المتقدمة "صحيحة" ام خاطئة . كان تعليل ماركس مختلفا . فقد لاحظ حقيقة : ان الثورة قد اندلعت بشكل مختلف في كل مرة ، ومع ذلك فهو لم يبحث عن تفسير ذلك في الاختلاف بين "المفاهيم الاستراتيجية" . من وجهة النظر الماركسية من السخف البحث عنه في المفاهيم . ولا بد من البحث عنه في التحالفات الطبقة . وقد كتب ماركس نفسه انه في ١٧٨٩ اتحدت البورجوازية مع الفلاحين وان ما حدث في ١٨٤٨ هو ان البورجوازية الصغيرة الديموقراطية قد خانت البروليتاريا . يعرف السيد بليخانوف رأي ماركس حول المسألة ، ولكنه يتجاهله ، لأنه يريد ان يصور ماركس وكأنه لا يختلف عن ستروفه . في فرنسا ١٧٨٩ ، كانت المسألة هي الاطاحة بطبقة النبلاء والحكم المطلق . اعتقدت البورجوازية حسب مستوى التطور الاقتصادي آنذاك في انسجام المصالح ، ولم تكن لديها مخاوف بشأن استقرار حكمها وكانت مستعدة للدخول في تحالف مع الفلاحين . وقد ضمن هذا التحالف النصر التام للثورة . في ١٨٤٨ كانت المسألة هي اطاحة البروليتاريا بالبورجوازية . ولم تستطع البروليتاريا ان تكسب لصفها البورجوازية الصغيرة ، وقد ادت خيانتها لهزيمة الثورة . كان الخط الصاعد في ١٧٨٩ شكلا للثورة هزم فيه الشعب الحكم المطلق . وكان الخط الهابط في ١٨٤٨ شكلا للثورة ادت فيه خيانة جمهور البورجوازية الصغيرة للبروليتاريا الى هزيمة الثورة .

يستبدل السيد بليخانوف الماركسية بالمادية المبتذلة حينما يختزل المسألة في كونها تتعلق بـ "المفاهيم الاستراتيجية" وليس بالتحالفات الطبقة .

ان تجربة ثورة ١٩٠٥ والفترة اللاحقة للثورة المضادة في روسيا تعلمنا ان هناك خطان للثورة يمكن ملاحظتهما في بلادنا ، بمعنى انه كان هناك صراع بين طبقتين – البروليتاريا والبورجوازية الليبرالية – حول قيادة الجماهير . تقدمت البروليتاريا بطريقة ثورية ، وكانت تقود الطبقة الفلاحية الديموقراطية نحو الاطاحة بالملكية وطبقة ملاك الارض . وقد كشفت طبقة الفلاحين عن ميول ثورية بالمعنى الديموقراطي على نطاق جماهيري من خلال كل الاحداث السياسية العظمى : انتفاضة الفلاحين في ١٩٠٥ – ١٩٠٦ ، الاضطراب في الجيش في نفس السنوات، ”اتحاد الفلاحين” عام ١٩٠٥ ، ومجلسي الدوما الاولين حيث وقف الفلاحون الترودوفيك ليس فقط ”على يسار الكاديت” وانما كانوا ايضا اكثر ثورية من مثقفي الاشتراكيين الثوريين والترودوفيك . لسوء الحظ ، هذا غالبا ما ينسى ، لكنه حقيقة واقعة . وفي كل من الدوما الثالث والرابع اظهر الترودوفيك رغم ضعفهم ان جمهور الفلاحين كان معارضا للملاك العقاريين .

الخط الاول للثورة البورجوازية الديموقراطية الروسية كما استنبط من الوقائع لا من الهذر ”الاستراتيجي” قد اتسم بنضال البروليتاريا الحازم ، الذي اتبعه الفلاحون بغير حزم . هاتان الطبقتان قاتلتا الملكية وكبار ملاك الارض . ادى الافتقار للقوة والحزم عند هاتين الطبقتين الى الهزيمة (رغم ان خرقا جزئيا قد حدث لصرح الاوتوقراطية) .

تمثل سلوك البورجوازية الليبرالية في الخط الثاني . لقد اكدنا نحن البلاشفة دائما، وخاصة منذ ربيع ١٩٠٦ ان هذا الخط كان يمثله الكاديت والاكثوبريون كقوة مفردة. و قد برهنت حقبة ١٩٠٥ – ١٩١٥ على صواب وجهة نظرنا . في اللحظات الفاصلة في النضال ، خان الكاديت مع الاوكتوبريين الديموقراطية وهبوا لمساعدة القيصر وملاك الارض . لقد اتسم الخط ”الليبرالي” في الثورة الروسية بـ ”النزعة السلمية” والطابع المتشطي للنضال الجماهيري حتى تتمكن البورجوازية

من ان تعقد سلما مع الملكية . لقد جعلت الخلفية الدولية للثورة الروسية وقوة النضال البروليتاري سلوك الليبراليين هذا حتميا .

لقد ساعد البلاشفة البروليتاريا بشكل واع على ان تتبع الخط الاول ، ان تقا تل بشجاعة عالية وأن تقود الفلاحين . ولقد انزلق المناشفة دوما نحو الخط الثاني ، لقد حطوا من معنويات البروليتاريا بتكليف حركتها لليبراليين – بدءا من الدعوة لدخول دوما بوليجين (اغسطس ١٩٠٥) الى وزارة الكاديت في ١٩٠٦ والكتلة مع الكاديت ضد الديموقراطية في ١٩٠٧ . (من وجهة نظر السيد بليخانوف سوف نلاحظ في جملة اعتراضية ان ”المفاهيم الاستراتيجية الصائبة” لدى الكاديت والمناشفة قد عانت من هزيمة في هذا الوقت فلم حدث هذا ؟ لماذا لم تعر الجماهير التفاتا للاستشارات الحكيمة للسيد بليخانوف والكاديت ، التي نشرت على نحو اكثر كثافة بمئات المرات من نصيحة البلاشفة ؟)

تجلى هذان الاتجاهان فقط – البلاشفة والمناشفة – في سياسات الجماهير في ١٩٠٤ – ١٩٠٨ ولاحقا ، في ١٩٠٨ – ١٩١٤ . لماذا كان الامر على هذا النحو ؟ لأن هذين الاتجاهين فقط كانت لهما جذور طبقية ثابتة – الاول في البروليتاريا والثاني في البورجوازية الليبرالية .

واليوم نحن نخطو مرة اخرى في اتجاه الثورة . والكل يرى هذا . يقول خفوستوف نفسه ان مزاج الفلاحين يذكرنا بمزاج ١٩٠٥ – ١٩٠٦ . وها نحن نرى مرة اخرى نفس الخطين في الثورة ، نفس التحالف الطبقي ، وقد تعدل فقط بسبب الوضع الدولي . في عام ١٩٠٥ دعمت البورجوازية الاوروبية بكاملها القيصرية وساعدتها اما بألاف الملايين (مثل الفرنسيين) او بتدريب جيش مضاد للثورة (مثل الالمان) . اندلعت الحرب الاوروبية عام ١٩١٤ . تغلبت البورجوازية على البروليتاريا في كل مكان لوهلة ، وجرفتهم في الدائرة المضطربة للنزعة القومية والشوفينية . في روسيا وحتى الآن تشكل جماهير البورجوازية الصغيرة من الشعب، وبصفة اولية الفلاحين ، اغلب السكان . وهم مضطهدون اولا وقبل كل شئ

من قبل ملاك الارض . من الناحية السياسية هناك قسم من الفلاحين نائم ، وقسم يتذبذب بين الشوفينية ("هزيمة المانيا" ، "الدفاع عن الوطن الام") والروح الثورية . ان الناطقين السياسيين باسم هذه الجماهير – والمعبرين عن ترددتها – هم من ناحية، النارودنيون (الترودوفيك والاشتراكيين الثوريين) ومن ناحية اخرى الاشتراكيون الديموقراطيون الانتهازيون (ناشه ديلو ، بليخانوف ، مجموعة تشيخيدزه ، اللجنة التنظيمية) ، الذين تبعوا منذ عام ١٩١٠ بتصميم طريق السياسة العمالية الليبرالية ، وفي عام ١٩١٥ حققوا شوفينية بوتريسوف الاشتراكية ، شيريفانين ، ليفتسكي ، وماسلوف ، او طالبوا بـ "الوحدة" معهم .

تشير حالة الامور هذه بامتياز الى مهمة البروليتاريا . والمهمة هي شن نضال ثوري شجاع بدرجة رفيعة ضد الملكية (مستخدمين شعارات مؤتمر يناير عام ١٩١٢ "الاعمدة الثلاثة") ، نضال يكتسح في طريقه عند مستهله الجماهير الديموقراطية ، أي ، الفلاحين بصفة اساسية . وفي نفس الوقت ، يتعين على البروليتاريا ان تشن نضالا لا رحمة فيه ضد النزعة الشوفينية ، نضالا بالتحالف مع البروليتاريا الاوروبية من اجل الثورة الاشتراكية في اوروبا . ان تذبذب البورجوازية الصغيرة ليس امرا عارضا ، انه امر حتمي ، لأنه ينبع منطقيا من موقفهم الطبقي . لقد قوت ازمة الحرب العناصر الاقتصادية والسياسية التي تدفع البورجوازية الصغيرة خاصة الفلاحين ، الى اليسار . وهنا يكمن الاساس الموضوعي لإمكانية انتصار الثورة الديموقراطية التام في روسيا . ليست بنا حاجة هنا لأن نثبت ان الشروط الموضوعية في اوروبا الغربية ناضجة للثورة الاشتراكية، وقد كان هذا امرا معترفا به قبل الحرب من كل الاشتراكيين ذوى النفوذ في كل الاقطار المتقدمة .

توضيح مسألة التحالف الطبقي في الثورة الوشيكية هو المهمة الرئيسية للحزب الثوري . وقد تهربت اللجنة التنظيمية من هذه المهمة ، التي تبقى داخل روسيا حليفا مخلصا لجريدة ناشه ديلو ، وتهذى في الخارج بجمل "يسارية" . وقد جرى تناول

هذا الموضوع بشكل خاطئ في جريدة ناشه سلوفا من قبل تروتسكي ، الذى يكرر نظرية ١٩٠٥ ”الاصلية” ويرفض ان يتفكر في سبب تجاوز الحياة نظريته الفخمة في مجرى عشر سنوات.

لقد استعارت نظرية تروتسكي الاصلية من البلاشفة الدعوة لنضال بروليتاري ثوري حازم من اجل استيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية ، بينما استعارت من المناشفة ”انكار” دور الفلاحين . لقد اكد ان الفلاحين ، المنقسمون فئويا ، قد اصبحوا متميزين ، وقد تضاعل دورهم الثوري اكثر فاكثر ، في روسيا الثورة ”القومية” مستحيلة ، يقول تروتسكي ”نحن نعيش في عصر الامبريالية” ”ولا تعارض الامبريالية الامة البورجوازية بالنظام القديم ، وانما البروليتاريا بالامة البورجوازية” .

هنا لدينا مثل مسلى عن اللعب بكلمة ”امبريالية” . اذا كانت البروليتاريا تقف في روسيا معارضة بالفعل لـ ”الامة البورجوازية” ، اذن فإن روسيا تواجه ثورة اشتراكية (!) ، و يكون شعار ”صادروا الملكية العقارية” (الذى كرره تروتسكي في ١٩١٥ في اعقاب مؤتمر يناير عام ١٩١٢) غير صائب ، ففي هذه الحالة ينبغي الا نتحدث عن حكومة “عمال ثورية” وانما عن حكومة “عمال اشتراكية” ! ان المدى الذى يذهب اليه تفكير تروتسكي المضطرب واضح من جملته بأنه من خلال تصميمها فإن البروليتاريا سوف تجذب ”الجماهير الشعبية غير البروليتارية” كذلك (عدد ٢١٧) ! لم يدرك تروتسكي بعد انه اذا اقنعت البروليتاريا الجماهير غير البروليتارية ان تصادر الملكية العقارية وان تطيح بالملكية ، فإن ذلك سيكون ذروة ”الثورة القومية البورجوازية” في روسيا ، وسوف تكون ديكتاتورية ديموقراطية ثورية للعمال والفلاحين !

ان عقدا كاملا – العقد العظيم من ١٩٠٥ – ١٩١٥ قد كشف عن وجود خطين اثنين فقط في الثورة الروسية . والتمايز في اوساط الفلاحين قد عزز الصراع الطبقي بينهم ، وقد ايقظ العديد من العناصر التي كانت خامدة حتى الآن . لقد قرب

بين البروليتاريا الريفية والبروليتاريا المدنية (وقد اصر البلاشفة اعتبارا من عام ١٩٠٦ على انه ينبغي ان ينظم الاولين بشكل منفصل ، وقد ضمنوا هذا المطلب في قرار مؤتمر المناشفة في ستوكهلم) . على اية حال ، ان العداء بين الفلاحين ، من ناحية ، وانصار ماركوف ، وآل رومانوف وخفوستوف ، من ناحية اخرى ، قد بات اقوى واشد حدة . وهذه حقيقة واضحة ولا يمكن حتى لألاف الجمل المعدودة في مقالات تروتسكي في باريس ان "تدحضها" . وفي الواقع فإن تروتسكي يساعد سياسيي العمل الليبرالي في روسيا ، الذين يفهمون بـ "انكار" دور الفلاحين رفضا لرفع الفلاحين لمستوى الثورة .

هذه هي النقطة الحاسمة في الموضوع اليوم . البروليتاريا تقاتل وسوف تقاتل ببسالة ، للاستيلاء على السلطة ، من اجل الجمهورية ، من اجل مصادرة الارض ، أي ، من اجل ان تكسب الفلاحين الى جانبها ، وان توظف طاقتهم الثورية تماما ، وان تجعل "الجماهير غير البروليتارية" تشترك في تحرير روسيا البورجوازية من "الامبريالية" الاقطاعية – العسكرية (القيصرية) . سوف توظف البروليتاريا على الفور عملية تخليص روسيا من القيصرية وحكم ملاك الارض ، لا بمساعدة الفلاحين الاغنياء في صراعهم ضد العمال الريفيين ، وانما من اجل انجاز الثورة الاشتراكية بالتحالف مع بروليتاريي اوروبا .

## هوامش:

(١) بريزيف (النداء) جريدة اسبوعية كان يطبعها المناشفة والاشتراكيون الثوريون في باريس، من اكتوبر ١٩١٥ – الى مارس ١٩١٧ . والاشارة تخص مقالة بليخانوف "خطان في الثورة" ، وقد طبع في تلك الجريدة في ١٧ اكتوبر ١٩١٥ .

\* المصدر : الاعمال الكاملة ، المجلد ٢١ ، ص ص ٤١٥ – ٤٢٠ ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٤ .